

مال الله

متوحى

بقام

عبد الحميد جهوده إسحار

تهنئ : .. انت عبقرى ... عبقرى
.. فذ ..

ورفع رأسه وقد تملكه الزهو
وشاعت في جوانحه بهجة روحية جعلته
يرضى عن وجوده ، ويرى في كل ما يمد
اليه عينيه جمالا تنتشي به ذاته التي
فأملت سعادتها حتى كادت تغمر كل
شيء .

وسار بثلفت كالسحور ، وهو مغم
بالسرور ، وإذا بعينه تقفان على صبي
صغير ، نام الى جدار ، لا يستر جسده
الضامى الاسمر الا القفازة وخرقة
معزقة تنائر عليها هنا وهناك اشكال
غير منسجمة من الطين ، وفي مثل لمح
البصر اشاح بوجهه عن الصبي وانطلق
في طريقه ، بيد أن منظر الصبي الصغير
أحسب صفحة رأسه وعكر صفوه
لحظات ، فقد راحت مشاعر الشفقة
ترحف الى صدره لتتحرر عنه موجات
الغبطة والرضا والسرور .

وانساب في طريقه ومن اذنيه
صوت ربابة تسرى في سكون الليل
فأصاخ سمعه ووسع من خطوه وسار

دوت القاعة بالتصفيق والحنى
عبد الرحمن وقد انعم بالنشوة يرد
تحية الجماهير التي أسكرتها ألقابه
العذبة ، وأسدت الستار ، فأنسل
عبد الرحمن وحده وخرج من باب المسرح
الخلقى وأصداء الليلة العظيمة ترن في
أقوار نفسه وتشرح صدره وتجعل
روحه تهيم في عوالم من الرضا والغبطة .

وانساب في جوف الليل كالطيف
وراح الهواء البارد يداعب وجهه فيزيد
في تألق الأشرار الذي انتشر بين جوانحه
والسكينة التي استقرت في رأسه
والسرور الذي يفتشاه ، كان مزهوا
بالشهرة التي بلغها وأعجاب الناس به
والتكريم الذي يلقاه في كل مكان .

وفي مثل لمح البصر طاف بذهنه بينه
الفاخر وزوجته الجميلة وابنائه الأغراء
وسيارته السوداء الفضة التي تنتظره
أمام باب المسرح ورصيد حساباته الذي
يتضخم في البنوك يوما بعد يوم فراح
يستنشق الهواء في طمأنينة ويزفره في
راحة ، واستشعر رغبة في أن يفنى
لنفسه وإذا بأصوات تتجاوب في الأفوار

تنتظره وقد شغلت رأسه أفكار جديدة،
تعد قلبه بالشفقة والنور .

ونام ليكنه وهو سعيد ، وفي الصباح
خرج يضرب في أرجاء المدينة . وهو
يترب ، كان يبحث بعينه عن انسان
يعد له عونه ، فرأى رجلا يرتدي جلباباً
لصيراً ، فوقه جاكته صفراء ، يتندو
كانما غمسا في الزيت والشحم ، ووضع
على كتفه حبلاً متيناً وأسند ظهره الى
جدار ينتظر الفرج ، ان يدعو احداً
ليحمل له حبلًا ثقيلًا .

وسار عبد الرحمن الى الرجل ووضع
في يده ورقة مالية ، فلما بأسرير
الرجل تهطل واذا بلسانه يتحرك في
فمه ، بيد ان عبد الرحمن لم ينتظر
ليسمع ما يقول ، انه وسع من خطوه
وسار بعيداً ليرى من آخر يعطيه حقه
في المال الذي يجود الله به عليه .

وانطلق يثقل ، فوقعت عيناه على
بالغ صحف يترى ابنه الصغير ثوبه مسكه
من ذراعه ويدفعه بعيداً ، وهو يسبه
في حق ، فاقرب منه وقال له :

— لماذا تقسو على الصبي ؟

فقال الرجل في انكسار :

— يريد قرشين . من اين سأتى
له بالنقود ؟

فوضع عبد الرحمن يده في جيبه
واخرج ورقة مالية ، دفع بها الى
الرجل وهو يقول :

— خذ واشتر له كل مايشتهي .

وقبل ان يفيق الرجل من ذهنته
كان عبد الرحمن قد انسל وذهب بعيداً
عن العيون ، ليضع في ايدي من يفتتح

ناحية الصوت حتى اذا ما اقترب منه
قرع مسامعه صوت اجش يفيض يفتى
على الرابية وبلغ صاحب الصوت قائلاً
رجلاً يرتدي جلباباً مخططاً فوقه جاكته
ممزقة ، يزل منها مرفقاه وتفرس في
وجهه فالتفت الى الجدرى قد انتشر
في صفحته وابيضت عيناه ، يبدو عليه
انه تجاوز الخمسين ، كان يتسول بكل
ماعنده من طاقات !

وردن في اعماق عبد الرحمن صوت
يقول في انكار وشفقة وخوف : « انه
يتسول بفنه ! » وتسمر عبد الرحمن
في مكانه لما راح الصوت يهمس في
ضميره : « انت تغني وهو يفتى » وانقلب
الهمس الى صراخ .

وراحت الأفكار تسدق الى راس
عبد الرحمن : انت لم تخلق حنجرتك
.. صوتك الجميل لا فضل لك فيه ..
انه عيه .. المال الذي جمعته ليس لك
وحدك .. لك شريك فيه . لا . انه
مالى ، جمعته بالجهد والكفاح وسهر
الليالي وعرق الجبين .

وعاد يتفرس في وجه الرجل الاعمى،
الذي كان يتسول باغانيه ، فاشتد
خفقان قلبه ، وراح صوت ضميره
يقول : « كان من الممكن أن تكون مثله،
لولا ان لطف الله بك ... المال الذي
جمعته لا فضل لك فيه ، لك فيه
شريك . ومن شريكى ؟! الله شريكك
.. بل انه مال الله ، استخلفك فيه .
للناس كلهم حق فيه » .

ومد يده في جيبه واخرج بعض اوراق
مالية ، دسها في يد الرجل الاعمى، ثم
دار على عقبيه ليعود الى سيرته التي

لهم قلبه من الشيوخ والضعفاء والمساكين
بعض المال الذي استخلفه الله فيه .

وفي ذات يوم كان منطلقا بسيارته في
طريق كفر ، كان الحر شديدا والعرق
يتصبب من كل مسام جسمه ، ولح
طفلا يرتدى ثيابا بالية ، يدفع أمامه
عربة بها زجاجات فارغة ، يلتقط
انفاسه في جهد ، والعرق يتناقط من
وجهه على الأرض ، قدنا منه ونداء ،
فأقبل الطفل وهو يتلفت في خوف ،
ولما رأى الورقة المالية المدودة إليه
انسعت عيناه رهبة وقال :

— لا . لا . لا أريدها .

ووضعها عبد الرحمن في يده ، بيد
أن الطفل التفتا في فزع ، وقال وهو
يضطرب :

— لا . لا . لا أريدها .

فقال له عبد الرحمن في حنان :

— خذها يا بني . إنها لك .

وأعادها عبد الرحمن إليه ، وهم
بأن يتحرك بسيارته ، إلا أن الطفل تعلق
بالبسيلة وهو يقول :

— لا . لا أريدها . أرجوك ياسيدي

والمهل عبد الرحمن وقال في هدوء :

— إنها لك .

فقال الطفل في تلالل :

— أنا جائع . اعطني قرشين . هذا

كل ما أريده

ووضع عبد الرحمن الورقة المالية في
يده في رفق وقال :

— خذها . أرجوك .

وقبض الطفل على الورقة وهو ذاهل
وانساب عبد الرحمن في طريقه وهو
سعيد .

كان عبد الرحمن يعتلى نشوة كلما
دأبت إليه أهات الجمهور ودوى
التصفيق ، إلا أن تلك النشوة سرعان
ما تبخر وتلاشى ، أما الغبطة التي
يحسها كلما أعطى إنسانا حقّه في ماله
فإنها تتغلغل في سويداء قلبه وتجعله
يعيش في نعيم مقيم وأرضاء انه استبدل
سعادة طارئة بسعادة دائمة تعرف بها
الروح .

وجاء شاب مهتم اليه عبد الرحمن
ودق الجرس وراح يلتقط انفاسه في
جهد ، ومرت لحظات وانفجر الباب
عن زوجة عبد الرحمن ، فوقعت عينها
على الرجل وهو يسند قلبه بيده ،
ونظرت إليه نظرة تقول في ضيق :
« نعم ! » ولم يابه الرجل لنظرهما
وقال في صوت خافت :

— الاستاذ موجود ؟

ومضى سمعه صوت عبد الرحمن
يقول في رقة :

— تفضل

فاشرق وجه الرجل بابتسامة ،
ودارت الزوجة على عقبيه وغابت في
البيت وما لبثت أن عللت تسرق
السمع فقد راها كثرة الذين يترددون
على بيتها في الأيام الأخيرة من ذوى الدلة
والمسكنة .

وترأس الى سمعها صوت الرجل
المهتم يقول :

— قال لي الطبيب : لا بد من أن
تأخذ إبر الذهب وأن تنفذى جيداً والا
تموت . . ساموت . من أين لي ثمن
إبر الذهب ؟ من أين أجد ما أنفذى به
وأنا لا أجد ما أكله ! طردوني من العمل
لا عرفوا أني مريض بالسل .
وسمعت زوجها يقول :

— اطمن . ربنا موجود .

ومدت رأسها ونظرت فرأت زوجها
يضع في يد الرجل شيئاً فاستشعرت
ضييقاً على الرغم من أنها رأت الدموع
تفلس وجه الرجل ، أحسّت أنه يسرق
منها حقاً من حقوقها وحقوق ابنائها.
وخرج الرجل وبين جوانبه بصيص
أمل وعاد عبد الرحمن إلى حيث كانت
زوجه وهو مطرق يفكر في ذلك الرجل
الذى يهدده فقره بمصير مشؤم ، وقال
في صوت خافت :

— مسكين .

فقالت زوجه في سخرية :

— والله نحن المساكين .

فرفع رأسه ونظر إليها في دهش ،
وفطنت إلى نظرة الابتكار التي تفرقت
بها عيناه ، بيد أنها لم تحفل بمشاعره
وقالت :

— انت لا تفكر فينا ولا في أولادك .

فقال في ألم كأنما طعن قلبه خنجر :

— أنا ؟

— لو كنت تفكر فينا ما بعثرت مالك
ولضمنت لنا مستقبلنا .

— وهل يتقصكم شيء ؟

— ماذا فعلت لمستقبلنا ؟ ماذا يكون
حالتنا لو حدث — لا قدر الله — لنا
حادث .

فقال في ضيق :

— لو مت

فقالت في بساطة :

— لا قدر الله . لا بد يا عبد الرحمن

أن نضمن مستقبل أولادنا .

— وهل يتقصهم شيء ؟ كلهم في أحسن

المدارس ، ولا أبخل عليهم بشيء .

ماذا يمكن أن أفعله لهم ولم أفعله ؟!

فدنت منه وقالت وهي تضع يدها

— تشتري لهم شيئاً ينفعهم في

مستقبلهم بدلاً من بعثرة مالك .

ولم يعجبه قولها له : «بعثرة مالك»

وهم بأن يقول لها : «أنا حر في مالي .

أنفقه كيف أشاء » إلا أنه كبت ثورته

التي اندلعت في صدره ، وقال :

— تريدون ما ترونه بعد موتي ؟!

فراحت تمسح رأسه بيدها وقالت :

— وهل يتسقى الآباء إلا ليشركوا

لابنائهم ما يسعدون به .

— أريد لابنائي أن يكدوا وأن يسعدوا

بعرق جبينهم .

— أن كل قطرة دم تجري في عروقهم

منا ، ورثوا عنا كل صفاتنا كل ما لدينا

من فضائل ونقائص ، ذكائنا وغيبانا ،

فطنتنا وحياتنا . فلماذا تريد أن

تحرهم من ثمرة جهدنا . هذا حلهم .

هو الله ما افلح ابدًا الذين ينتظرون
ما يروثونه .

— ومن قال لك انهم ينتظرون ، انهم
يعملون ويبتغون ان يصلوا بجهدهم
ولكن علينا ان تؤمن لهم الطريق ، ان
نجهلهم يشعرون انهم مطمئنون .

وماذا تريدون ان افعل ؟

— ان تشتري لهم ارضا بدلًا من
بعتة مالك .

ووخزها قولها : « بعتة مالك » وهم
بان يشور ، الا انه مضغ غضبه وهو
كلزه ، وقال :

— ومن يديرها ؟

— انت .

— انا رجل خلقت لافنى ، لا لأدير
ارضا . انا لا اقبل ابدًا ان اجنى لعمار
عرق فلاح فقير !

فقال فى سخريه :

— ولماذا تقبل ان تجنى لعمار عرق
رجال فرقك الموسيقية ؟

فقال فى حدة :

— انا اعطيهم اجورهم . انا لا اجنى
لعمار عرقهم .

— وستعطى الفلاح اجره .

— هذا يختلف . انا اعمل مع رجال
فرقتى فى الشتاء والصيف ، فى البرد
والحر ، اعرق كما يعرقون وانتفضى من
البرد كما ينتفضون ، اما الفلاح الذى
يفلح الارض ، فانا لا اشاركه تعب .

— فلماذا تأخذ انت وحدهك جمل
الابراد ، لماذا . . .

ولم يدعها تتم حديثها ، بل قال فى
الانفعال :

— انى اخذ ربع موهبتى ، لمن فنى .
الناس باتون ليسعدوا بفنائى ، يدفعون
ما يدفعون وهم راضون ليتمتعوا
بصوتى .

وهمس فى جوفه هانس : « ولكن
ذلك الصوت لم تخلقه . لك فيه شريك »
واذا بصوت آخر يقول :

« انى ادفع للناس نصيبهم فى كل
قرش يرزقنى الله به . اؤدى حق مالى
... لا بل مال الله »

واحسن انه يتشائل وقالت زوجته :
— ابن لنا بيتا ، ان كنت لا تريد
ان تستغل احدا .

وشغل بالافكار التى كانت تدفق الى
راسه من كل شيء حوله ، فقال فى صوت
خافت لينهى المناقشة الدائرة بينه وبين
زوجته :

— سارى .

وخرج الى الطريق واتطلق على غير
هدى بلفت ، فوجد طفلة صغيرة امامها
مشنة بها ليمون ، فذهب الى الطفلة
وتناول ليمونة وقال :

— بكم ؟

فقال الطفلة وهى تنظر الى وجهه
لتكتشف اثر كلامها فيه :

— الليمونة بقرش صالح .

وتناول خمسًا وعشرين ليمونة
ووضع فى يد الطفلة خمسين قرشًا
واولاهها ظهره ، فراحت الطفلة تنقل

مبينها بين الورقة المالية وظهر
عبد الرحمن في دهش، ولما وجدته يعتمد
عنها ارتسم على وجهها الفرح الشديد
ولم تستطع أن تكتم فرحتها فنادت على
من حولها وقالت في سرور وهي تلوح
بالورقة المالية وتسير الى عبد الرحمن
الذي اعتمد عليها :

— ضحكت على هذا الرجل .

وتبسم عبد الرحمن وحس :
« ليت كل الذين يستغلونى كانوا
مثلك ! » وراح يفكر فيما كان
بينه وبين زوجته : ان غاية آمانيها ان
تملك شيئا يفرج من قلبها خشيته من
المستقبل ، انها لا تستطيع ان تنسى ان
عنها هو الذي كفلها بعد موت ابوها
وبا طالما قالت له انها تدعو الله في جوف
الليل ان يجنب ابنها الحاجة الى عطف
الآخرين !.

وراح يخاطبها فقد ملأت صورتها
الطريق : « انت ضعيفة الايمان ، كثيرة
القلق . هل نفع ابن عمك المال الكثير
الذي تركه له ابوه ؟ انفقته فيما لا ينفع
وهو الآن فقير . ليت عمك سلح ابنه
بالمعلم بدل ذلك المال المحدود الذي تركه
انه لو فعل ما كان هذا حال ابن عمك
الآن . . اريد ان اجنب ابنتي مصير
ابن عمك العزيز » .

وسمع صوتها في وضوح يقول له :
« لو سقطنا في الطريق فمن ذا الذي
سيأخذ بأيدي ابنتنا ؟ ما يحتاج اليه
البيت يحرم على الجامع . افق لنفك
يا عبد الرحمن ولا تبعثر مالك » .

« لا . لا . انه ليس مالي ، انه
مال الله ، وهو قادر على ان يحبسه

عنى الآن » . وراح ينحس حنجرتة
في خوف ويفكر فيما يكون عليه حاله
لو ان ذلك الصوت ضاع ، وتملكه فرح
وراح يدندن ليطمئن على انه ما يزال
يملك هبة الله ، وتجاوب صوته في
أرجائه عذبا كما كان ، فقال في رضا :
« للناس كلهم حق فيه »

وعادت تراوده فكرة بناء بيت :
« ولماذا لا أفعل ؟! سيسوق الله ان
انسا لهم حق في هذا المال ، لهم فيه
نصيب . ساعقد عليهم في العطاء حتى
ترضى نفسي ، وسيرضى ذلك لزوجتي
وابنتي »

واشترى ارضا ولعمرت البيت موجة
فرح ، وافق مع مهندس رشحه له
صديق . كان الاتفاق مبلغا دفعه
للمهندس بشيك قبل ان يخط على
على الورق خطأ وكان هذا هو كل
ما بينهما من عقود . وفي ذات ليلة عاد
الى البيت وهو يحمل رسم البيت المنشود
فاخذه ابنه امين وعكف عليه بدرسه
ولما انتهى من الفحص والتدقيق دخل
على ابيه متععض الوجه ، وقال في
نرفزة :

— انا لا اوافق على هذا الرسم .

وبسط الورق ليناقش اباه الا ان
عبد الرحمن لم تتفتح نفسه للمناقشة،
وقال :

— لست صغيرا يا امين . اذهب الى
المهندس وناقشه في كل ما تريد ادخاله
من تعديلات وذهب امين وعاد وهو
غاضب حائق ، وقال لابيه في ثورة

— نصيحتي يا ابي الا تستمر مع هذا
الرجل .



فقال امين في حدة :

- بخرب بيتنا !

فقال عبدالرحمن في انفعال :

- امين ! انا لا اسمع لك بان تجرى

وراء عواطفك وان تظلم الناس. الرجل

لا غاية له الا خدمتنا .

- لماذا يا امين ؟

- لم ارجع اليه ، طريقته في النقاش

لم تعجبني .

فقال عبد الرحمن في حدة .

- حرام يا امين ان تظلم الناس .

اعطه فرصة .

وخرج أمين غاضبا واحس عبدالرحمن ضيقه فما قامت بينه وبين ابنه مشادة قبل أن يشرع في بنساء البيت ، وكان يستشعر في اعماقه ان ابنه في جانب الحق ، فهو نفسه لم يسترح الى ذلك المهندس بعد ان تكتشف له نذاته في كثير من افعاله ، الا انه ابر أن يجرحه ووطن العزم على أن يتحمل مضايقاته حتى ينتهي من تشييد ذلك البيت الذي بدأ بحس وطاقته على روجه .

وراح يتفق بسخاء على العمال ويعطى المهندس كل ما يطلبه وهو على اليقين من انه لا يستحق الاموال التي ياخذها وكان يعلل النفس بأنه ما من أحد يستحق من جدارة مايقبض من حاجته ، وانما هي اوراق .. يرزق الله من يشاء بغير حساب !

ولكدست مواد البناء وأخذ العمل يسير في ببطء شديد والاموال تتسرب من بين يدي عبد الرحمن حتى بدأ يحس شيقا ماليا ، ولم يكن ذلك الضيق يؤذيه مثل ذلك الضيق النفسي الذي كان يستشعره عقب المشادات التي كانت تشتعل في البيت كل يوم بينه وبين أمين وزوجه ، فقد كانا يتهمانه بأنه يترك امواله نهيا للمهندس ورجاله الذين تجاوز استغلالهم له كل حد .

وفي ذات يوم دخل أمين على ابيه وقال :

- الى متى ستسكت على هذه المهزلة . ارسل المهندس من سرق نصف حديد التسليح في الليل .

وانقبض عبيد الرحمن وثارت دماؤه في عروقه ، واحس رغبة في أن

يبيضن بأحد وكاد يهم بالثورة على ابنه ولكنه كبح جماح غضبه وقال في هدوء وان كانت اعصابه تنمرق :

- هذا امر يستوجب الشكر .

فقال أمين وهو يكاد يشب من الفيل:

- اريدني ان اشكر المهندس لانه يسرقنا !!

- هذا امر يستوجب الشكر لله ، لانه اعطانا ما يسرته الناس ولم يحرمنا ويضطرنا الى سرقة الناس .

ولم يستطع أمين صبرا ، فقال دون وعي :

- يا للبرود !

واحس عبيد الرحمن كان خنجرا مسموما يسدد الى قلبه وان كبرياه تعرضت في الاوحال وهم بأن ينهض ويضع ابنه ، بيد ان أمين اتسل من القسرة وهو يرفى ويزبد ، وجاءت الخادم وقالت :

- رجل في الخارج يسأل عنك يا سيدي .

فقال لها عبيد الرحمن وهو ينهض :
- قولي له : تفضل .

ودخل الرجل ، كان ذلك الشاب الذي طرد من عمله بعد أن مرض بالسل . كان ذاوبا ذابلا وكاد نور عينيه ينطفئ وتلاشى الغضب من صدر عبد الرحمن وشامت فيه راحة ، فقال للشاب في رقة :

- تفضل يا بني .

سرق حواسير الكهرياء ، وباع أقفال
الشقق ومرغنا في التراب ..

ودخلت الزوجة وجذبت أمين من
يده وهي تقول له :

— تعال ، اهدأ يا بني .

فقال أمين وهو يكاد ينشج بالبكاء :

— تعالي اسمعي ماذا يقول الناس
عنا .. العمال يقولون : لم نر تغفيلًا مثل
هذا التغفيل أبدًا .

وكادت الدموع تطغر من عيني
عبدالرحمن وراح يصرف أنياه في غبطة،
وتملكه غضب شديد حتى كاد يضرب
أبيه ويخرج لبحث عن ذلك اللص الذي
جعله أضحوكة بين الناس ولكنه راح
يراد نفسه ويقتنعها أن مال الدنيا كلها
لا يستحق أن يرتكب مثل هذه المخالفات،
أنه عاهد نفسه أن يحتقر المادة ليمسك
وكان سعيدًا حقًا قبل أن يصفى إلى
زوجه التي نجحت في أن تجذبه إلى الأرض
أنها سحابة تطوف بحياته سرعان ما تمر
وانتهى البيت — وكان لا بد أن ينتهي

— بعد أن فر المهندس بكل ما استطاع
أن يسرقه وبعد أن ترك العمل يسير
على هواه ، ودخل عبد الرحمن على
زوجه وابنته وقال لهم :

— خذوا البيت ودعوا لي تغفيلي

واحس أن حملًا ثقيلًا اقتراح من
صدره وأن الصدا الذي ران على روحه
قد ذاب وأن النور بدأ ينتشر في كيانه
فقد خرج من سجنه وعاد مليقًا ليعطي
الناس — وهو راضٍ — نصيبتهم في ماله،
بل في مال الله .

فقال الشاب والدموع تنهمر من
عينيه :

— ساموت يا سيدي . أنا واثق من
ذلك ولكن علي أن أصارع الموت . قال
لي الطبيب : لا بد أن أخد مزيدًا من
أبر الذهب . آسف يا سيدي أن كنت
أثقل عليك .

فقال عبدالرحمن في صدق :

— أبدا يا بني .

ونفض عبد الرحمن وذهب ليأني
ببعض المال ، فلما دس يده في جيبه لم
يشعر بتلك النشوة التي كان يستشعرها
كلما أعطى ، فقد كان يعطي من مال
أعده لتسديد بعض مطالب البيت
الجديد ، وعاد إلى الشاب ووضع في
يده البلع وفد نار القلق بين جوانبه .

وخرج الشاب وهو يجر خطاه و أخذ
عبدالرحمن ينظر إليه وهو شارد . أنه
كان مليقًا يخلق في السموات قبل أن
يشده ذلك البيت إلى الأرض . كان
ناعم البال ، يشدو شدو البلابل ، فإذا
به يصبح قلقًا خائفًا من غده ، يخشى
الزواج التي كانت تهب في منزله في أي
وقت . كان يعطي الناس نصيبتهم في
ماله وهو راضٍ النفس خفيف الحركة،
قصار عطشهم والقلق يخفق في كيانه
وخطوه ثقيل وعينه زائفتان لا تستقران
على شيء ، فهو لا يعرف إلى أين يمد
بصره !

وفي ذات يوم هبت الزوينة بينه وبين
أمين ، قال أمين :

— إلى متى نصبر على هذا اللص ،